

النحو العربي في التراث

Arabic Grammar in Classical Heritage

تركية داودي*

جامعة طاهري محمد بشار

(الجزائر)

kati2023koko@gmail.com

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٠٧/٢٢٠ القبول ٢٠٢٥/٠٩/١٩

النشر ٢٠٢٥/١٢/١١

ملخص:

تعتبر الدراسات اللغوية من المحاور الأساسية التي حظيت باهتمام كبير من قبل الباحثين والدارسين، سواء العرب أو الأجانب، وذلك لما تنسم به من تنوع في مستوياتها. ونخص بالذكر هنا الدراسة النحوية لما لها من ارتباط وثيق بالنص القرآني، إذ وُضعت اللغة في خدمة هذا النص لحمايته من اللحن وضمان سلامته. تنطلق إشكالية هذا البحث من التساؤل حول مدى تأثير النحو العربي بالمنطق الأرسطي، وحقيقة نشأته: هل هي عربية خالصة أم متأثرة بأطر خارجية؟ ويهدف البحث إلى تتبع نشأة النحو وأسباب وضعه، ودور المدارس النحوية في تطوره، مع إبراز أثر المنطق والفلسفة، والصعوبات التي واجهت تعليمه وتعلمه. تكمن أهمية البحث في إعادة قراءة التراث النحوي قراءة نقدية تكشف عن أصوله من جهة، والتحديات التي واجهها من جهة أخرى. وقد اعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي والمقارن. ومن أبرز النتائج المتوقعة: التأكيد على عروبة النحو في نشأته، وبيان الأثر المحدود للمنطق الأرسطي فيه، والدعوة إلى تجديد طرائق تعليم النحو بما يستجيب لصعوباته المتوارثة. وقد تناولنا في هذا البحث الموسوم بـ "النحو العربي في التراث: نشأة النحو، وأسباب ظهوره، والمدارس النحوية ومناهجها، بالإضافة إلى الصعوبات التي اعترضت تعلم النحو، وعلاقته بالفكر المنطقي والفلسفي، ولا سيما المنطق الأرسطي، مع عرض لأهم الجهود النحوية التي بذلها العلماء الأوائل في تأسيس هذا العلم.

الكلمات المفتاحية: نشأة النحو؛ مدارس نحوية؛ صعوبات نحو ؛ علماء تراث؛ تأصيل وتأصل.

Abstract :

Linguistic studies have long been a central focus of interest among scholars—both Arab and non-Arab—due to their richness and the diversity of their analytical approaches. In particular, Arabic grammar holds a significant position owing to its strong connection with the Qur’anic text, as the Arabic language was developed and refined to serve and safeguard this sacred scripture from linguistic error. This study explores the extent to which Arabic grammar may have been influenced by Aristotelian logic and questions whether its origins are purely Arab or shaped by external philosophical frameworks. It aims to trace the emergence of grammar, the reasons behind its formulation, the role of grammatical schools, and the challenges that hinder its learning. It also investigates the impact of logic and philosophy on its structure. The importance

of this research lies in offering a critical reassessment of grammatical heritage—highlighting both its authenticity and the obstacles it faced throughout history. To achieve this, we adopted a descriptive, analytical, and comparative methodology. Among the expected outcomes are confirmation of the fundamentally Arab origin of grammar, acknowledgment of the limited influence of Aristotelian logic, and a call to modernize grammar teaching methods in response to long-standing difficulties. The study also reviews the key narratives surrounding the origin of Arabic grammar and examines the foundational efforts of early grammarians.

KeyWords: *The origin of Arabic grammar ; Grammatical schools*
Grammatical difficulties; Heritage scholars ; Authenticity and rootedness.

* تركية داودي

المقدمة:

تُعَدّ البدايات الأولى للدراسات اللغوية القديمة منطلقاً أساسياً لفهم تطور اللسانيات الحديثة، إلا أن تركيزنا في هذا البحث ينصبّ على الدراسات اللغوية العربية في التراث، لما لها من قيمة علمية كبيرة، ولما تحتويه من معالجات عميقة لقضايا اللغة. ويُعَدّ التراث العربي أحد المصادر الغنية التي تحمل بين طياتها جهوداً علمية متميزة أسهمت في بناء الفكر اللغوي، وأثرت الساحة المعرفية بمباحث دقيقة ومتنوعة. وقد دفع هذا الزخم المعرفي العديد من الباحثين إلى الرجوع إلى هذا التراث، واستنطاق مضامينه، ومحاولة استكشاف ما فيه من رؤى لغوية أصيلة. ومن بين المواضيع التي استقطبت اهتمامهم: النحو العربي، سواء من حيث نشأته أو تطوّره. ويأتي هذا البحث ليتناول إشكالية مهمة، تتمثل في مدى تأثير النحو العربي بالمنطق الأرسطي ودرجة أصالته العربية، بالإضافة إلى التحديات والصعوبات التي واجهت تعلّمه عبر التاريخ، مع دراسة دور المدارس النحوية في صياغته وتطوّره. ومن هنا تنطلق فرضيتنا الأساسية التي ترى أن النحو العربي نشأ ضمن التراث العربي الأصيل، مع تأثير محدود للمنطق الأرسطي، وأن الصعوبات في تعلمه تعود إلى طبيعة قواعده التجريدية وتعقيدها. وفي سبيل تحقيق أهداف البحث، تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي والمقارن، حيث تم تحليل المصادر التراثية النحوية ومقارنة المدارس النحوية المختلفة، مع التركيز على تحديد مدى تأثير الفكر المنطقي على تطور النحو. واستُخدمت في هذا السياق الأدوات البحثية التي تشمل المصادر التراثية الأساسية في النحو العربي، بالإضافة إلى الدراسات الحديثة في مجالات اللسانيات والتاريخ اللغوي، إلى جانب التحليل النقدي للآراء والنظريات المختلفة. وبذلك، يسعى هذا البحث إلى تقديم قراءة متكاملة تتناول نشأة النحو العربي والمدارس النحوية التي أسست لهذا العلم، مع تسليط الضوء على الصعوبات التي واجهت تعلمه، في إطار التأصيل والتأصل الذي يميز التراث العربي اللغوي.

I. نشأة النحو العربي:

من الجوانب التي تهمنا في هذه الدراسة أيضًا، الكيفية التي نشأت بها الدراسات اللغوية، إذ يتبين أن البدايات الأولى للبحث اللغوي لم تكن من نشأة العرب. وفي هذا السياق، يشير أحمد مختار عمر في كتابه *البحث اللغوي عند العرب* إلى أن العديد من المحاولات الأولى في مجال الدرس اللغوي، والتي ظهرت في مناطق متفرقة من العالم، كانت وثيقة الصلة بالدين والعقيدة. فقد بدأ الهنود دراستهم اللغوية في إطار خدمة النصوص المقدسة المعروفة باسم "الفيدا"، ومثل هذا الاتجاه نجده لدى الصينيين أيضًا، إذ ارتبطت دراساتهم اللغوية بالنصوص الدينية البوذية وغيرها. وبدأت دراسة اللغة والنحو في العبرية لخدمة الكتاب المقدس (عمر أ. م. 1988, p. 80).

ويُورد أحمد مختار عمر في كتابه *البحث اللغوي عند الهنود* وأثره على اللغويين العرب أن الهنود سبقوا العرب في ميدان الدراسات اللغوية، بل ويُرجَّح أنهم تقدموا على اليونانيين أيضًا في هذا المجال. فقد خلَّف الهنود تراثًا لغويًا غنيًا اشتمل على دراسات متنوعة في فروع علم اللغة، من أصوات واشتقاق ونحو، إلى صناعة المعاجم (عمر أ. م. ١٩٧٢، صفحة ٣).

يشير حسن خميس الملقح في كتابه *التفكير العلمي في النحو العربي* إلى أن الكتابة كانت تُدرَّس وتُتعلَّم في العصر الجاهلي، حيث يُروى أن بعض اليهود قام بتعليم الكتابة العربية، وكان يُدرَّسها للصبيان في المدينة في فترات مبكرة. ومع مجيء الإسلام، وُجد في قبيلتي الأوس والخزرج عدد من الأفراد الذين يجيدون الكتابة. أما النحو، بمعناه الاصطلاحي المعروف، فلم يكن له وجود قبل الإسلام، نظرًا لعدم توافر الدواعي التي أدت لاحقًا إلى ظهوره. ومع ذلك، فإن بؤادر المشكلة النحوية كانت موجودة في العصر الجاهلي، ممهدة لظهور هذا العلم لاحقًا. (الملخ، ٢٠٠٢، صفحة ٥٧). بدأ علم اللغة عند العرب من خلال جمع مفردات اللغة وتدوينها، وكانت الغاية الأساسية من هذا الجهد هي فهم القرآن الكريم وتفسير ألفاظه. ومن هنا، ظهرت مؤلفات عديدة على شكل رسائل لغوية تناولت مفردات ترتبط بموضوعات محددة، مثل: *خلق الإنسان*، *والخيل*، *والإبل*، *والنبات*، *والشجر*. وتجلَّت هذه الجهود في أعمال علماء بارزين كالأصمعي، وأبي زيد، وقطرب وغيرهم. وإلى جانب هذه الرسائل المتخصصة، وُجدت أيضًا كتب تعنى بغريب القرآن وغريب الحديث، بالإضافة إلى نوادر اللغة، وقد ألُفَّت من قِبل هؤلاء اللغويين أنفسهم. ومثلت هذه المصنفات البنية الأولى في بناء المعاجم العربية الكبرى لاحقًا (المبارك، ٢٠٠٥، الصفحات ٢٤-٢٥).

تختلف الروايات حول نشأة علم النحو العربي، إذ لا يُجمع المؤرخون على رأي واحد في هذا الشأن. فبعضهم يُرجع بداياته إلى عبد الرحمن بن هرمز، بينما يرى آخرون أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من وضع أسسه، في حين تُنسب النشأة أحيانًا إلى الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهناك روايات أخرى تذهب إلى أنها تعود إلى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وما يؤكد هذا التعدد في الآراء، أن الحقيقة حول منشأ هذا العلم لا تزال غير محسومة. ويذكر عبد العال سالم في كتابه رواية تفيد بأن أبا الأسود الدؤلي هو من ألحَّ على زياد، والي البصرة، أن يجيزه بوضع قواعد تُعين العرب على فهم لغتهم وتمييز كلامهم (المكرم، ١٩٩٠، صفحة ١١).

يورد ابن النديم في كتابه *الفهرست* أن رجلًا يُدعى محمد بن الحسن، ويُعرف بابن بكرة، كان جامعًا للكتب، وامتلك خزانة كتب لم يكن لها مثيل من حيث الكثرة في عصره. ومن بين تلك الكتب، وُجدت حكاية تتكوّن من أربع

ورقات مترجمة، تتضمن كلامًا حول الفاعل والمفعول، منسوبًا إلى أبي الأسود الدؤلي - رحمه الله - وقد كُتبت بخط يحيى بن يعمر (النديم، ١٩٩١، صفحة ٦١).

كثرت الروايات حول واضح ونشأة النحو وتضاربت حول الواضع الأول مما دفع ببعض العلماء لمحدثين والمستشرقين إلى التشكيك فيها فاتخذوها حجة للطعن في الدرس النحوي.

II. أسباب وضع النحو:

وجدنا في كتاب الحلقة المفقودة كل الروايات التي تتحدث عن نشأة النحو وأول من وضع هذا العلم، يقول الدكتور عبد العال سالم: "إن النحو نشأ على يد عليّ كرم الله وجهه: سمع أعرابيا يقرأ: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (القرآن الكريم) فوضع النحو (الانباري، ١٩٨٥، صفحة ١٩). يروي ابن الأنباري في سياق حديثه عن نشأة النحو العربي حوارًا دار بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبي الأسود الدؤلي. يقول أبو الأسود: "دخلت على أمير المؤمنين فوجدت في يده رقعة، فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني تأملت كلام الناس، فوجدته قد فسد بسبب مخالطة هذه الحمراء"، في إشارة إلى الأعاجم، "فأردت أن أضع لهم شيئًا يرجعون إليه ويعتمدون عليه". ثم ناوله الرقعة، وكان مكتوبًا فيها: "الكلام كله اسم، وفعل، وحرف..."، وقال له: "انح هذا النحو، وأضف إليه ما وقع إليك". فلما أتم أبو الأسود ما طلب منه، قال علي: "ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت"، ومن هنا جاءت تسمية علم النحو، نسبةً إلى هذا التوجيه الأولي (الانباري، ١٩٨٥، صفحة ٢٠).

يمكن إرجاع نشأة علم النحو العربي إلى جملة من الدوافع، منها ما هو ديني، ومنها ما هو لغوي واجتماعي. أما الدافع الديني، فيتمثل في الحرص الشديد على قراءة نصوص القرآن الكريم قراءة فصيحة خالية من اللحن، تؤدي بأقصى درجات السلامة اللغوية والفصاحة البيانية، خاصة بعد أن بدأ اللحن يظهر على ألسنة الناس، نتيجة لاختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم. وقد روي أن النبي ﷺ سمع رجلًا يلحن في كلامه، فقال: "أرشدوا أحاكم فإنه قد ضل"، في إشارة إلى خطورة اللحن وضرورة تقويم اللسان (ضيف، المدارس النحوية، ١٩٧٢، صفحة ١١).

٢-١- تعريف النحو:

عند التطرق إلى مفهوم النحو، نجد أن الدارسين ميزوا بين دلالة اللغوية والاصطلاحية. فمن الناحية اللغوية، يحمل لفظ النحو معنى القصد والطريق نحو ينحو أي قصد، وانتحاء. وقد أورد الأزهري قول الليث: "النحو لقصد الشيء، نحوت نحو فلان إذا قصدت قصده"، قال: وبلغنا أن أبا الأسود وضع وجوه العربية وقال للناس: انحوه نحوهم فسمي نحوًا." (الأزهري، ١٩٦٤، صفحة ٢٥٢). وقد جمع الإمام الداودي معاني النحو في اللغة فقال:

لنحو سبع معان قد أتت لغة جمعتها ضمن بنت مفرد كمالا
قصد، ومثل ومقدر وناحية نوع وبعض وحرف فأحفظ المثلًا (القوزي، ١٩٨١، صفحة ٠٧)

* أما من حيث الاصطلاح، فيعرّف ابن جني علم النحو في كتابه الخصائص بقوله: "النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالثنية والجمع، والتحقيق، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّب بعضهم عنها رُذّب بها إليها". ويتضح من هذا التعريف أن النحو لا يقتصر على قواعد الإعراب فحسب، بل يشمل سائر الظواهر التركيبية والتصريفية في اللغة، ويهدف في جوهره إلى تمكين غير العرب من النطق بالعربية نطقاً سليماً، مطابقاً لفصاحة أهلها. (جني ع،، صفحة ٣٤).

*تعريف سيبويه للنحو:

يُعدّ سيبويه من أوائل من وضعوا الأسس العلمية لعلم النحو في كتاب (الكتاب)، وقد عرّف النحو بصورة ضمنية من خلال ممارسته العملية، حيث قال: "النحو هو أن تتبع كلام العرب، فتحثذي مثاله، وتتعرف ما يطرد وما يشذ، فتقيس الأول على الثاني، وتردّ الشاذ إلى المطرد." (قنبر، ١٩٨٨، صفحة ١٥). ويُفهم من هذا التصور أن سيبويه ربط النحو بمحاولة ضبط كلام العرب عبر منهج يقوم على الاستقراء والقياس، وهو بذلك يرسخ المنهج العقلي في الدرس النحوي.

*تعريف الزجاجي للنحو:

أما الزجاجي فقد عرّف النحو في كتابه الإيضاح في علل النحو بقوله: النحو هو انتحاء سمت كلام العرب من إعراب وغيره، ليلحق من ليس من أهل العربية بالعرب في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم. (اسحاق، الزجاجي، ١٩٨٤، صفحة ٥)، ويتضح من هذا التعريف أن الزجاجي سار على نهج ابن جني من حيث توسيع مفهوم النحو ليشمل الإعراب وغيره من الظواهر، مع تركيزه على وظيفة النحو التعليمية والتقويمية.

*تعريف ابن السراج للنحو:

ومن التعريفات المهمة أيضاً تعريف ابن السراج، إذ يقول في كتابه الأصول في النحو: "النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالثنية والجمع، والتحقيق والتكسير..." (السراج، ١٩٩٦، صفحة ١٢)، وهذا التعريف قريب جداً من تعريف ابن جني، مما يدل على أن مفهوم النحو عند المدرستين البصرية والكوفية كان يقوم على محاولة حفظ لسان العرب وتقعيده لضمان استمرارية الفصاحة.

III. المدارس النحوية :

كلنا نعرف أن النحو عرف عند المدرسة البصرية لكن هناك عدة مدارس أخرى مثل المدرسة الكوفية والبغدادية والمصرية والأندلسية، لكن سنتناول المدرسة البصرية والكوفية والمنهج الذي اتبعته كل منهما على رأي المحدثين.

١- المدرسة البصرية

ارتبطت نشأة المدرسة البصرية باسمي الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه، وتُعد هذه المدرسة - كما يصفها ابن سلام الجمحي في كتابه - "واضعة النحو وفاقحة أبوابه"، إذ كانت بمثابة المهد الأول الذي وُلد فيه علم النحو وتطوّر من خلاله. فقد أسست المدرسة البصرية الأسس الأولى للدرس النحوي المنهجي، وشكّلت منطلقاً لجهود لغوية عميقة

أثّرت في من جاء بعدها من النحاة. (الجمحي، ١٩٧٤، صفحة ٧٥) يجمع الباحثون على أن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ) هو أول من تُنسب إليه آراء نحوية ظهرت في المؤلفات النحوية. وقد كان له أثر بالغ في ترسيخ ملامح درس النحوي، خاصة من خلال استخدامه للقياس اللغوي، حتى قيل عنه: "كان أول من بعج النحو، ومد القياس والعلل فيه". فقد كان الحضرمي نحوياً بحق، يلتزم بالأصول، ويستنبط العلل، ويوجه الشواهد توجيهاً منهجياً، مما جعله من الرواد الأوائل الذين مهّدوا الطريق لتأسيس النحو بوصفه علماً قائماً على أصول وضوابط دقيقة (الجمحي، ١٩٧٤، صفحة ٧٥). وظهر بعده عالم آخر هو أبو عمر بن العلاء (ت ١٥٤هـ) عني بلغات العرب وغريبها وأشعارها... يقول عنه ابن جني "كان ممن نظروا في النحو والتصريف وتدرّبوا وقاسوا (جني ع، صفحة ٢٤٩). أسهم كل من عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩هـ) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) في تطوير النحو البصري وإغنائه بمزيد من الآراء والتطبيقات، غير أن النحو لم يبلغ درجة النضج والاكتمال إلا مع الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، الذي يُعد المؤسّس الحقيقي لهذا العلم. فقد اعتمد الخليل منهجاً يجمع بين السماع والقياس، وأسّس للنحو على قواعد راسخة، حتى وصفه ابن جني بقوله: "الخليل كاشف قناع القياس"، في إشارة إلى جهوده في إظهار دور القياس العقلي في بناء القواعد النحوية وضبط اللغة (جني ع، صفحة ٣٦١).

روي الزبيدي في كتابه طبقات النحويين واللغويين أن المدرسة البصرية ضمّت نخبة من أعلام النحو الذين كان لهم الأثر البالغ في تأسيس هذا العلم وتطويره. ومن أبرز هؤلاء النحاة: أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ)، ونصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩هـ)، وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ)، وسيبويه (ت ١٨٠هـ)، ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ)، والأخفش الأوسط (ت ٢١١هـ)، وقطرب (ت ٢٠٦هـ)، والمبرّد (ت ٢٨٥هـ)، والزجاج (ت ٣١١هـ). وقد أسهم هؤلاء في بناء صرح النحو العربي، كلّ وفق منهجه ومدرسته، وكانوا من الدعائم الأساسية التي ارتكزت عليها المدرسة البصرية في تطورها العلمي (الزبيدي، ١٩٨٤، صفحة ٣١).

لقد نشأ النحو بصرياً لأسباب غايتها تقويم اللسان العربي، الذي أفسده الاختلاط العرب بالأعاجم. "إذ لم يكن الخطر كبيراً في أية بيئة إسلامية جديدة، كما كان في البصرة حيث السواد من سكانه نبط، عجم، وهنود، وحيث صراع اللغات عنيف بها، حيث تكاد تكون لكل قبيلة عربية لهجة خاصة" (كمال، ١٩٧١، صفحة ١٦٢)،

لقد كان للاختلاط بين العرب وغيرهم أثر إيجابي في وعي العرب بلغتهم، إذ دفعهم إلى الانتباه لضرورة الحفاظ عليها وصون فصاحتها. ومن هنا، نشأ علم النحو في بداياته كأداة لتقويم اللسان وتصحيح النطق، غير أنه لم يلبث أن تطوّر خلال فترة وحيزة ليصبح علماً قائماً على أسس منهجية دقيقة، يعتمد على القياس العقلي والتعليل المنطقي. وفي هذا السياق، يذكر إبراهيم السامرائي أن: "في هذه الفترة القصيرة، انتقل النحو من مادة كان الغرض منها تقويم اللسان والقلم إلى علم آخر يفيد من القياس والتعليل". (السامرائي، ١٩٦٨، صفحة ١٦)، وكما يقول ابن النديم في كتابه الفهرست "وإنما قدمنا البصريين أولاً لأن علم العربية عنهم عرف".

اعتمدت المدرسة البصرية على منهج تحليلي ومنطقي في دراسة قواعد اللغة العربية، متميزة بالقدرة على التنظيم الذهني للظواهر اللغوية، والمرونة في التعامل مع القواعد والاستثناءات، مما منحها مكانة متقدمة بين مدارس النحو الأخرى، حيث يقول أحمد أمين: "إنّ البصريين كانوا أكثر حرية وأقوى عقلاً، وطريقتهم أكثر تنظيماً" (أمين، ١٩٧٣، صفحة ٢٩٦)

اتبعت المدرسة البصرية في منهجها النحوي خطة علمية تقوم على الاعتماد على الشواهد اللغوية الموثوقة، تلك التي كثر دورانها على ألسنة العرب الفصحاء. وقد استندوا إلى القياس في استنباط الأحكام النحوية، وحرصوا على أخذ اللغة من أهل البادية دون الحاضرة، لاعتقادهم أن البدو لم يختلطوا بالأعاجم، فحافظوا على نقاء الفصحاة وصفاء اللسان. كما تأثر بصريون بالعقل والمنطق، فأتجهوا إلى تأمل النصوص وتفسير الظواهر النحوية في ضوء التفكير العقلي والتحليل المنطقي، مما أضفى على النحو طابعاً استنباطياً صارماً.

٢- المدرسة الكوفية

نجد أن النحاة اختلفوا في تحديد مؤسسها وواضع قواعدها، إلا أن "أكثر العلماء متفقون على أن أبا جعفر الرّؤاسي هو مؤسس هذه المدرسة" (الطهطاوي، ١٩٩١، صفحة ٣٦)، ويشير أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام إلى أن الرّؤاسي هو من أسس مدرسة الكوفة في النحو، وقد ألّف كتاباً في هذا المجال لم يصل إلينا، ويُقال إن الخليل بن أحمد اطلع عليه واستفاد منه. ومنذ ذلك الوقت، بدأت مدرسة الكوفة تبرز في المشهد النحوي، لتكون نظيراً ومنافساً لمدرسة البصرة، فدخلتا في مرحلة من المناظرات والجدل العلمي الذي أسهم في إثراء الدرس النحوي وتوسيع آفاقه (أمين، ١٩٧٣، صفحة ٢٩٦)

- تُعد المدرسة الكوفية من المدارس النحوية التي نشأت في وقت متأخر نسبياً مقارنة بجارتها المدرسة البصرية، إلا أنّها استطاعت أن ترسخ لنفسها مذهباً نحويّاً ذا شأن، أضاف إلى الدرس اللغوي العربي ثراءً وتنوعاً. وقد حظيت المدرسة الكوفية بتقدير عدد من المحدثين، الذين رأوا في منهجها ما يوافق الاتجاهات الوصفية الحديثة في دراسة اللغة. ومن أبرز هؤلاء: مهدي المخزومي في كتابه *مدرسة الكوفة*، وعبد الفتاح الحموزي في كتابه *الكوفيون في النحو والصرف*، وأحمد أمين في كتابه *ضحى الإسلام*، حيث أثنوا على البنية العلمية الصلبة التي قام عليها الصرح النحوي الكوفي. (الزعيبي، ٢٠٠٩، صفحة ٠٤).

نشأ النحو الكوفي بدايةً من خلال انتقال بعض علماء الكوفة إلى البصرة، حيث كانوا يتلقون العلم عن نخاتها ثم يعودون إلى الكوفة لإلقاء دروسهم. وقد كان دور الجيل الأول من الكوفيين يقتصر على مسائل قليلة لا تثير خلافاً مع المدرسة البصرية. غير أن الملامح المميزة للمذهب الكوفي بدأت تبلور مع الجيل الثاني، لا سيما مع ظهور الكسائي وتلميذه الفراء، حيث أخذ النحو الكوفي يتّجه نحو الاستقلال، ويكتسب خصائصه الخاصة التي ميّزته عن نحو البصرة، مما جعله يُعدّ مدرسة نحوية قائمة بذاتها، لها منهجها ومواقفها واجتهاداتها. (شامية، ١٩٩٥، صفحة ٨٥)

ومن ابرز النحاة الكوفيين وأشهرهم : أبو جعفر الرواسي (ت ١٧٥هـ) ، أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ) ، الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت (ت ٢٤٤هـ) ، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) .

٢-١- منهج المدرسة الكوفية :

نشأ النحو الكوفي بدايةً من خلال انتقال بعض علماء الكوفة إلى البصرة، حيث كانوا يتلقون العلم عن نحائها ثم يعودون إلى الكوفة لإلقاء دروسهم. وقد كان دور الجيل الأول من الكوفيين يقتصر على مسائل قليلة لا تثير خلافاً مع المدرسة البصرية. غير أن الملامح المميزة للمذهب الكوفي بدأت تبلور مع الجيل الثاني، لا سيما مع ظهور الكسائي وتلميذه الفراء، حيث أخذ النحو الكوفي يتجه نحو الاستقلال، ويكتسب خصائصه الخاصة التي ميّزته عن نحو البصرة، مما جعله يُعدّ مدرسة نحوية قائمة بذاتها، لها منهجها ومواقفها واجتهاداتها. (التواقي، ٢٠٠٨، صفحة ٩٣)، لقد توسعوا في الرواية فهم لم يتشدّدوا في فهم الفصاحة كما تشدّد البصريون ، وإنما يأخذون اللغة من قبائل نزحت من البادية. (صالح ع.، ٢٠٠٧، صفحة ٤٢) .

يمكننا القول بأن النحو كان وصفيًا في نشأته لأنه كان يعتمد على المنطوق وجاءت اللغة مشافهة أي سماعًا ، وأيضًا اعتماده على دراسة الظاهرة في زمن واحد مثلما يعتمد المنهج الوصفي في دراسته.

IV. التأسيس والتأصيل بالنحو اليوناني :

أثار عدد من الباحثين المحدثين إشكالية حول أصل النحو العربي، وتحديدًا ما إذا كان قد تأثر بعلم المنطق، أم نشأ بعيدًا عنه تأثرًا واستقلالًا. ولا يزال هذا التساؤل مطروحًا في الدراسات الحديثة. وفي هذا السياق، يبرز عبد الرحمن الحاج صالح كأحد أبرز المدافعين عن استقلال النحو العربي عن الفكر المنطقي الأرسطي، ويُعد من أوائل من تبنوا هذا الرأي بوضوح. فقد خصص لهذا الموضوع كتابًا بعنوان علم المنطق، كما كتب عدة مقالات أكّد فيها أن النحو العربي لم يتأثر بالمنطق، بل ذهب إلى أن المنطق هو الذي تأثر بالنحو. ويؤكد الحاج صالح هذا الموقف بقوله: "إن النحو العربي هو في جوهره لغوي محض، ولهذا فإن مفهوم الإفادة فيه أقرب إلى علم الإعلام منه إلى علم المنطق." (صالح ع.، ٢٠٠٧، صفحة ٤٢)

توجه عدد من الباحثين المعاصرين إلى الطعن في أصالة الدراسات اللغوية العربية، زاعمين أنها تأثرت، بدرجات متفاوتة، بدراسات الأمم الأخرى في ميدان البحث اللغوي. وقد حاول هؤلاء أن يستندوا في أطروحاتهم إلى إشارات متناثرة أو أخبار غير موثقة، لبناء تصور يفيد بوجود تأثير خارجي في تكوين الدرس اللغوي العربي. غير إنه مجرد وجود تشابه بين أمة وأخرى في بعض مظاهر الدرس اللغوي لا ينهض دليلاً قاطعاً على وجود تأثير مباشر، ذلك أن الظروف التاريخية والثقافية قد تتشابه، فتدفع أكثر من أمة إلى إنشاء دراسات متقاربة من حيث المنهج أو

الغاية. كما أن الإبداع والابتكار ليسا حكراً على أمة دون أخرى، بل قد تظهر دراسات علمية متشابهة في أكثر من بقعة من العالم، دون أن يكون بينها تواصل أو تأثير متبادل. ومهما يكن من الأمر، فقد تعرّضت الدراسات اللغوية العربية لحملات من التشكيك في نقائها واستقلالها، خاصة في ثلاثة ميادين رئيسية: علم الأصوات، والعمل المعجمي، والنحو. (ياسين، ١٩٨٠، الصفحات ٨٥-٨٤).

V. الصعوبات التي واجهت النحو:

لقد اختلف كثيرًا في نشأة النحو وأيضاً الصعوبة في التعلم وطلب الكثير من المحدثين في تسهيله وتيسيره فمنهم من رفض الإعراب مثل قطرب وكان يرى أن الإعراب هو لاعتدال الكلام لا غير وتبعه الجاحظ عندما ثار أيضاً عن الإعراب وتبعه المحدثين مثل تمام حسان وإميل بديع يعقوب وعبد الستار الجوادى وأنيس إبراهيم وأنيس فريجة وعبد الرحمن أيوب .

صعوبة تعلّم النحو في اللغة العربية، حالة يعانيها الكثير من الدارسين أو القراء على حد سواء، وهي ليست ظاهرة جديدة. وبرزت محاولات كثيرة للتقليل من تلك الصعوبة، إمّا من خلال اختصار الكتب النحوية، وإما من خلال تغيير طريقة تعليمها، وإما من خلال حذف بعض الفقرات أو القوانين النحوية أو تعديلها.

النحاة العرب القدماء، كانوا مشغولين بتأصيل النحو والتوسع فيه، باعتبار القوانين التي تكفل سلامة اللغة وتحافظ على كيانها النظري، سليماً صحيحاً وفصيلاً. لذلك لم يكن من السهل على أي من النحاة، القول بصعوبة النحو، إنما عمل بعضهم في ما يسمّى (الاختصار) لكتب النحو. فكان في تاريخ نحو العربية، عشرات الكتب التي حملت كلمة (اختصار) في عناوينها، أو ما يقابلها في المعنى كالإيجاز والموجز

لم يكن النحو العربي علماً ميسور النشأة والتطور، بل واجه منذ بداياته مجموعة من الصعوبات المنهجية والعلمية والثقافية، أثّرت في مساره وشكّلت ملامحه، ومن أبرز هذه التحديات:

١. الطبيعة التجريدية للدرس النحوي

تميز النحو العربي بطابعه التجريدي، إذ سعى منذ نشأته إلى ضبط اللغة بقواعد كلية، ما جعله أقرب إلى التنظير العقلي منه إلى الوصف اللغوي الواقعي. وقد أثار هذا الاتجاه نقداً من قبل بعض المحدثين الذين رأوا في النحو تعقيداً لا ضرورة له في كثير من الأحيان (المجيد، ٢٠١٠، صفحة ٤٠). ويرى بعض أن من أبرز صعوبات تعلم النحو اعتماد العرض على أسلوب تجريدي منفصل عن السياقات اللغوية الحقيقية، مما يجعل المتعلم غير قادر على فهم القاعدة أو تطبيقها. (ميلود، ٢٠١٦، صفحة ١٤٤). وقد أشار تمام حسان إلى أن الدرس النحوي العربي لم يكن وصفيًا في بدايته، بل كان "قياسيًا منطقيًا"، مما جعله عسير الفهم على المتعلمين (حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ١٩٨٦، صفحة ٣٥)، وأكد إبراهيم أنيس أن النحو نشأ في بيئة غلب عليها الطابع الشفوي، إلا أن

التقعيد لاحقاً أخضع اللغة لمفاهيم عقلية لا تراعي طبيعة التحدث أو التواصل، مما خلق فجوة بين القاعدة والاستعمال (أنيس ١، ١٩٧٢، صفحة ١٧). ويرى أميل بديع يعقوب أن النحو كما يُدرّس حالياً ما يزال "أسير الرؤية القديمة القائمة على الجفاف والجمود"، ويؤكد أن كثيراً من الطلاب يفهمون القاعدة ولكنهم يعجزون عن استعمالها في كلامهم أو كتاباتهم، بسبب بعدها عن واقعهم اللغوي (يعقوب، المدخل إلى علم اللغة، ٢٠٠٤، صفحة ٩٢).

٢- هيمنة القياس والإغفال الجزئي للسمع

رغم أن النحو العربي تأسس في جزء كبير منه على السمع من فصحاء العرب، إلا أن القياس العقلي غلب لاحقاً على المنهج النحوي، مما جعل بعض الأحكام النحوية لا تتوافق مع الاستعمال اللغوي الشائع. وقد نتج عن هذا التوجه إشكال في قبول بعض القواعد التي لا تجد سنداً استعمالياً واضحاً (صالح ع.، ٢٠٠٧، صفحة ٧٨). وقد نبّه إبراهيم أنيس إلى أن "غلبة القياس على السمع جرّدت النحو من مرجعيته اللغوية الواقعية"، وأدت إلى إصدار قواعد قد لا تجد سنداً في الاستعمال الفعلي (أنيس ١، ١٩٧٢، صفحة ٤٩). وذهب تمام حسان إلى تأكيد أن النحو القديم لم يكن قائماً على الملاحظة، بل على التأويل والتبرير، مما جعله "متعاليّاً عن اللغة المستعملة" (حسان، مناهج البحث في اللغة، ١٩٨٩، صفحة ٤١).

٣- الخلافات المذهبية بين المدارس النحوية

وقد انتقد بعض اللغويين كثرة الخلاف بين البصريين والكوفيين، ولاحقاً بين البغدادية والأندلسية والمصرية، واعتبروا أن هذه الخلافات تحير الطالب وتربك المتعلم أكثر مما تنفعه. فبدل أن يكون النحو علماً موحداً، صار ميداناً للجدل، ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) في كتابه *الرد على النحاة*، حيث صرح: "إنما أفسد النحو كثرة التعليقات والعلل، وما ذكر من العوامل وما وُضع من الأصول التي لم ينطق بها العرب." (القرطبي، ١٩٨٢، صفحة ٧٧). وأدى هذا إلى تضارب في الآراء حول كثير من القضايا النحوية، وشتت الجهود بدل أن يوحدّها. وقد استمرت هذه الخلافات حتى القرون المتأخرة. (المخزومي، ١٩٦٤، صفحة ١٣٢). وقد رأى كمال بشر أن هذه الخلافات تحوّلت إلى "نزعة مدرسية مغلقة"، أثّرت سلباً في وضوح القاعدة واستقرارها (بشر، ١٩٩٠، صفحة ١١٨). كما رأى الجاحظ أن الجدل النحوي أفسد المعنى، وحوّل الدرس النحوي إلى استعراض نظري بدل أن يكون أداة للتفاهم، وهو ما تمكّن عليه في "البيان والتبيين" قائلاً: "النحوي إذا سمع لنا أظهر الإنكار، ثم احتج بشواهد لا تُقال ولا تُستعمل" (الجاحظ، صفحة ٣٥).

٤- اللغة في طور التغير والتطور

يشير المحدثون إلى أن اللغة العربية المعاصرة اختلفت كثيراً عن فصحي القرون الأولى التي وُضعت لها القواعد النحوية. حيث واجه النحو تحدي تطور اللغة نفسها، إذ إن العربية لم تبقى ثابتة، بل عرفت تغيرات لغوية نتيجة الامتزاج بالأعاجم وانتشار اللهجات. فالتغيرات الاجتماعية والثقافية، وتوسع بيئة الاستعمال، أدت إلى ظهور أنماط لغوية جديدة لم يستطع النحو العربي أن يستوعبها بمنظومته الصارمة، وهو ما صعب على النحو أن يحفظ سلطته وسط هذا التحول الاجتماعي واللغوي (المكارم، ٢٠١٦، صفحة ١٠٢). ١. (الحصري، ١٩٨٣، صفحة ٧٠)، وقد شدد تمام حسان على أن النحو يجب أن يُعاد بناؤه بناءً وظيفياً يراعي تطور اللغة وحاجات المتعلم المعاصر (حسان، مناهج البحث في اللغة، ١٩٨٩، صفحة ٢٨٨).

٥- صعوبة المصطلح وتعقيد الأسلوب

من أبرز الصعوبات التي تواجه المتعلم المعاصر هو الاصطدام المبكر مع كثافة المصطلحات النحوية المجردة، مثل "العامل"، "المعمول"، "الإعراب التقديري"، و"النواسخ".، تترك المتعلم، خصوصاً حين تُعرض دون تمهيد أو تدريب (إبراهيم، ٢٠١٩). فقد استطاع النحو العربي أن يصمد ويتطور، ويكون لنفسه منظومة علمية متماسكة، أسهمت في حفظ اللغة العربية وتفسير نصوصها، وعلى رأسها القرآن الكريم. وما تزال الحاجة قائمة إلى تحديد طرائق تدريسه وتقريبه من المتعلم المعاصر دون أن يُفقد روحه أو أصالته. وقد اعتبر كمال بشر أن تدريس هذه المفاهيم في بدايات التعلم "صادم للمتلقي الصغير"، لأنها تعتمد على خلفية ذهنية لا تتوافر له بعد (بشر، ١٩٩٠، صفحة ١١٠). ويذهب ساطع الحصري إلى أن النحو يفقد طابعه التعليمي عندما يتحول إلى دراسة مصطلحية بحتة، بدل أن يكون وسيلة لفهم اللغة والتعبير بها (الحصري، ١٩٨٣، صفحة ٦٦). كما أكد العزيز أن كثافة المفاهيم والمصطلحات تمثل حاجزاً نفسياً أمام المتعلم، لا سيما إذا طُرحت دون تدريب، أو دون تمثيل تطبيقي حي. (العزيز، ٢٠٠٨، صفحة ٩٩)

٦- الاعتماد على الأساليب التقليدية في التدريس

رغم التطور التربوي، ما تزال طرق تدريس النحو تقليدية في أغلب المؤسسات، معتمدة على التلقين والحفظ، دون الاستعانة بالوسائل التفاعلية الحديثة في تدريس النحو، وهذا يؤدي إلى نفور المتعلم وفقدان الحافز. (العزيز، ٢٠٠٨، الصفحات ٩٨-١٠١)، وقد انتقد كمال بشر هذا الأسلوب قائلاً إن "الطالب يحفظ ولا يفهم، ويكرر ولا يوظف" (بشر، ١٩٩٠، صفحة ١٢٥). كما حذر تمام حسان من خطر "تعليم النحو كغاية لا كوسيلة"، مما

يجعل الطالب ينفر منه (حسان، مناهج البحث في اللغة، ١٩٨٩، صفحة ٣٦).

٧- لفجوة بين النحو المكتوب والاستعمال اللغوي اليومي

غالبًا ما يُقدّم النحو كعلم نظري بعيد عن مواقف التواصل الحقيقية، مما يحد من قدرة المتعلم على تطبيق ما تعلمه (سعاد، ٢٠١٩، الصفحات ٧٨-٨١).

٨- ضعف الكفاءة اللغوية السابقة لدى المتعلم

يشير بعض التربويين إلى أن ضعف الرصيد اللغوي للطلاب منذ المراحل الأولى ينعكس على صعوبات تعلم النحو لاحقًا، إذ لا يمتلك أساسًا لغويًا يمكن البناء عليه. (أحمد، ٢٠٢١، الصفحات ٢٠٣-٢٠٥).

من المضاعفات المتكررة التي أشار إليها أميل بديع يعقوب وسعاد مرزوق أن الطلاب يدخلون إلى عالم النحو دون رصيد لغوي سابق، مما يجعلهم يواجهون قواعد لا يمتلكون السياق لفهمها أو تطبيقها (يعقوب، دراسات في فقه اللغة...، ٢٠٠٢، صفحة ١٠١) (سعاد، ٢٠١٩، صفحة ٨٠). ويؤكد أحمد عبد الرحمن أن ضعف التراكم اللغوي منذ الطفولة، وغياب الممارسة اللغوية الحية، من أكبر أسباب صعوبة تعلم النحو. كثير من الطلاب يفتقرون إلى رصيد لغوي سليم في الأصل، مما يجعل تعلم النحو بالنسبة إليهم أكثر صعوبة، لأنهم يتعلمونه دون قاعدة لغوية تمهّد له.

VI. صعوبات النحو ورفضه عند قطرب وبعض علماء التراث

تباينت مواقف النحاة واللغويين القدماء من النحو العربي؛ ففي حين رأى فيه بعضهم أداة ضرورية لحفظ اللغة، رأى فيه آخرون علمًا تجريديًا معقدًا يعوق الفهم.

١- صعوبة القواعد وابتعادها عن الاستعمال اللغوي

- قطرب بن المستنير (ت ٢٠٦هـ) كان من أوائل من أشاروا إلى أن النحو كما يُدرّس آنذاك صار يُعقّد اللغة بدل أن ييسرها. وأشار إلى صعوبة النحو منذ وقت مبكر. فقد ورد في "الفهرست" لابن النديم أنه كان يعرض مسائل النحو على الناس فيفترون منه، مما دفعه إلى القول: "ما أكذب النحويين! إن أحدهم ليقول: فعل كذا ليفعل كذا، وليس كذلك، ولكنه كذا، فُسِّل: فلم قالوا؟ قال: كي يفهموا" فقد رأى أن النحو أصبح أقرب إلى المنطق المجرد منه إلى طبيعة الكلام العربي المستعمل، وفيه إشارة إلى أن قطرب

"كان يرى أن النحو أخذ على غير وجهه، وأنه لو قُدّم على أساس وظيفي لاختلف الأمر." (الندم، ١٩٩١، الصفحات ٩٣-٩٤-١١٤)

٢- الانشغال بالجدل والتفريع على حساب المعنى

من أبرز ما يُنسب إلى القدماء في رفضهم للنحو هو أن النحاة أكثروا من الافتراضات والجدل حول الأوجه الإعرابية حتى ضاع المقصود من الكلام، يرى الجاحظ أن بعض النحاة يهتمون بـ"التنظير" أكثر من اهتمامهم بتيسير اللغة، وهو ما يحوّل النحو من أداة إلى عبء، ويبعده عن وظيفته الطبيعية. كما أشار الجاحظ إلى هذا في سياق تحكمه على النحاة بقوله: النحوي إذا سمع لحنًا أظهر الإنكار، ثم احتج عليك بشواهد لا تُقال ولا تُستعمل (الجاحظ، صفحة ٣٥) وانتقد الجاحظ النحو بسبب تعقيد مصطلحاته وبعده عن المتلقي، وقال في "البيان والتبيين": "إن من النحاة من يُذهب بك في عبارات لا يفهمها العامي، ولا المتعلم، فيبعد العلم من أهله" (الجاحظ، صفحة ٥٤).

٣- اعتراض ابن مضاء على نظرية العامل

عُدّ ابن مضاء من أبرز من انتقد النحو التقليدي، فقد رفض فكرة العلل النحوية، ورأى أنها تزيد المتعلم عبثًا دون فائدة حقيقية. قال: "إن هذه العلل لا فائدة فيها، ولا دليل يدلّ عليها، ولا حاجة إليها" (القرطبي، ١٩٨٢، صفحة ٧٨)، واعتبر أن ما يسمى بـ"العامل" هو اصطناع ذهني لا حاجة له، وأن العرب لم يكونوا يفكرون بهذه الطريقة عند الكلام. قال: "لا يجوز أن يقال إنّ الفاعل مرفوع لأن الفعل رفعه، فهذا قلب للمعنى الحقيقي". (القرطبي، ١٩٨٢، صفحة ٨٠).

٤- التقعر في اللغة والمصطلح

ومنهم من انتقد المصطلحات نفسها، مثل "مرفوع بالابتداء"، "منصوب على الحال"، ورأى أنها بعيدة عن الفهم الفطري للغة، وتعكس نزعة صورية معقدة. حيث ذكر أن بعض المتعلمين كانوا يعجزون عن فهم النحو لصعوبة مصطلحاته ومجاراته للمنطق. (السيوطي، الصفحات ١٣-١٥).

٥- الانفصال بين النحو والاستعمال اللغوي

هناك فجوة واضحة بين النحو كما يُدرّس، وبين اللغة كما تُستعمل في الحياة اليومية، مما يحدّ من قدرة الطالب على توظيف ما تعلمه في التعبير الشفوي أو الكتابي. (صالح ع.، ٢٠٠٧، صفحة ٦٦). رغم كونه من أعلام

النحو، فقد أظهر ابن جني وعيًا بحدود النحو وضرورة أن يُبنى على اللغة لا أن يُفرض عليها. وقال: "اللغة إنما تُقاس على ما سُمع، لا على ما قيس فاخترع" (جني ١، ١٩٩٩، صفحة ٥٠).

- يُظهر لنا تتبع مواقف قطرب والجاحظ وابن مضاء والسيوطي وغيرهم أن الانتقادات الموجهة إلى علم النحو العربي ليست حديثة العهد، بل تعود إلى عصور مبكرة من نشأته. وقد تمحورت هذه الانتقادات حول نقاط جوهرية مثل: التجريد والجمود، كثرة التعليقات، الخلافات الجدلية، بُعد المصطلحات عن الفطرة، والقصور عن الوظيفة التواصلية. ومن هنا، فإن إعادة النظر في مناهج تعليم النحو، والاستفادة من هذه الرؤى التراثية النقدية، تمثل مدخلًا مهمًا نحو تيسير النحو وجعله علمًا حيًا ووظيفيًا.

VII. آراء المحدثين في النحو

أما في العصر الحديث، فقد اشتد النقد الموجه للنحو، خاصة في شكله التقليدي المعتمد في مناهج التعليم. فقد اعتبر تمام حسان أن النحو العربي بُني على منطق أرسطي، ما أخرجته عن طبيعته اللغوية إلى طابع منطقي جاف، وأن قواعده بحاجة إلى إعادة نظر جذرية تقوم على الاستعمال (حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ١٩٨٦، صفحة ٤٤). وهو يرى أن النحو ينبغي أن يُفهم في ضوء "الوظيفة" و"السياق"، لا أن يبقى محصورًا في المصطلحات والتجريد.

أما إبراهيم أنيس، فقد ركّز على البعد الصوتي والتركيب، معتبرًا أن تعليم النحو يجب أن ينطلق من الواقع اللساني لا من الاستنباط الذهني، وقال: "الطالب يحفظ القاعدة ولا يدري متى يُطبقها" (انيس ١، ١٩٧٢، صفحة ١٢٣) وانتقد طريقة عرض النحو التي تُجزئ الجمل وتفصل بين الفعل والفاعل دون حاجة، مما يعيق الفهم الطبيعي.

انتقد كمال بشر إغفال النحو لطبيعة النمو اللغوي عند الطفل العربي، وقال: "لم تُراعَ في النحو العربي مراحل النمو اللغوي، ولا الفروق بين الكفاية والأداء" وذهب إلى القول بأن النحو في حقيقته "وصف لواقع لغوي، وليس بناءً افتراضيًا"، مشددًا على ضرورة ربط القاعدة بالنص، لا بالعزلة التحليلية (بشر، ١٩٩٠). بينما رأى أميل بديع يعقوب أن النحو العربي بحاجة إلى تحديث في المصطلح والأسلوب، مؤكدًا أن بعض المفاهيم فقدت وظيفتها التداولية (يعقوب، المدخل إلى علم اللغة، ٢٠٠٤، صفحة ١٠٠).

وقد شدد ساطع الحصري على أن صعوبة النحو تكمن في انفصاله عن اللغة المحكية، وأن المتعلم العربي يتلقى نحوًا لا يستخدمه في حياته اليومية، مما يجعله "غريبًا عن الواقع" (الحصري، ١٩٨٣، صفحة ٧٨).

أكد أميل بديع يعقوب على ضرورة تبسيط النحو دون أن نفقده وظيفته التأصيلية، مشيرًا إلى أن "كثيرًا من صعوبات النحو إنما تنبع من طريقة تقديمه، لا من جوهره (يعقوب، دراسات في فقه اللغة...، ٢٠٠٢، صفحة ٢٤٤).

شوقي ضيف رغم احترامه للتراث النحوي، فقد أشار إلى الحاجة الماسة إلى التجديد، إذ قال: "ينبغي أن نُعيد النظر في ترتيب أبواب النحو وتقدمه، بما يوافق حاجات المتعلمين في العصر الحديث (ضيف، تجديد النحو، ١٩٨٢، صفحة ١٤).

VIII. الخاتمة:

لقد كان علم النحو في بداياته يُعرف باسم "علم العربية"، وكان يُدرس كجزء من الدراسات اللغوية العامة، لكنه تطور لاحقًا ليصبح علمًا قائمًا بذاته حين بدأ العلماء باستنباط القواعد ووضع منهج محدد له. ويظهر من خلال دراسة التراث النحوي أن الدراسات النحوية العربية بلغت ذروتها في العصور الإسلامية الوسطى، وامتلكت مستوى علميًا رفيعًا قائمًا على أسس منهجية دقيقة، مما جعلها مرجعًا أساسيًا لكل من اهتم باللغة العربية من الباحثين العرب وغير العرب.

ومن أهم الدوافع التي أسهمت في تطور النحو العربي، تأتي في مقدمتها خدمة القرآن الكريم من الناحية اللغوية، إضافة إلى حماية اللغة العربية من الضياع والتحريف. وقد برزت جهود واضحة للعرب القدماء في مجال الدرس النحوي، سواء في تأليف الكتب أو إنشاء المعاجم التي ساعدت على ضبط اللغة، مع المحافظة على أصالتها، دون تقليد ما سبقهم من الأمم. ورغم وجود بعض الاختلافات أو الخلط في المناهج بين مختلف المدارس النحوية، فقد خلف القدماء إرثًا علميًا غنيًا يشكل أساسًا للدراسات اللغوية الحديثة.

وتشير الدراسة إلى أن الدراسات اللسانية الحديثة قامت على قواعد التراث النحوي، مستفيدة من جهود القدماء في تنظيم القواعد وإرساء المنهج العلمي. وقد ساعد ذلك النحو العربي على الصمود أمام الصعوبات، وتكوين منظومة متكاملة تسمح بفهم اللغة العربية وفصاحتها، والحفاظ على نصوصها، وعلى رأسها القرآن الكريم. كما أتاح هذا الصمود للدرس النحوي الاستمرار والتطور عبر العصور، مع الحفاظ على الجوهر العلمي والتقويمي للغة.

وعلى الرغم من ذلك، لا تزال صعوبات تعلم النحو قائمة، لاسيما فيما يتعلق بطريقة تدريسه وربط القواعد بالنصوص الواقعية للمتعلمين المعاصرين. فالتجريد الشديد لبعض القواعد والاعتماد على الحفظ الآلي يجعل من تعلم النحو تحدّيًا، ويستدعي البحث عن طرائق تعليمية مبتكرة تجمع بين الأصالة والحداثة، وتوظف الوسائل التعليمية الحديثة لإيصال المفاهيم بسلاسة، مع المحافظة على روح وقيمة النحو العلمي.

وبناءً على ما سبق، يمكن استخلاص عدد من التوصيات العملية للارتقاء بدراسة النحو العربي:

- ١- مراجعة المناهج التعليمية لتقديم القواعد بطريقة تدريجية ومتسلسلة، مع ربطها بسياقات لغوية واقعية تسهل فهمها واستيعابها.
 - ٢- تبسيط المصطلحات النحوية وإعادة صياغتها بما يتناسب مع مستوى المتعلمين، مع مراعاة الحفاظ على الدقة العلمية.
 - ٣- إحياء الجانب التطبيقي للنحو من خلال ربط الدراسة بالقواعد المستعملة في النصوص العربية الفصحى، وتوظيف الأمثلة العملية لتعزيز التعلم.
 - ٤- تشجيع الدراسات البحثية الحديثة على الاستفادة من التراث النحوي دون الوقوع في التقليد، مع تطوير المناهج والأساليب التعليمية بما يواكب العصر.
 - ٥- استخدام التكنولوجيا التعليمية الحديثة، مثل البرامج التفاعلية والمنصات الرقمية، لتقريب الدرس النحوي من المتعلمين بأساليب محفزة وشيقة.
- ختامًا، يظل النحو العربي علمًا غنيًا ومتجددًا، يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويشكل حجر الزاوية لفهم النصوص العربية وامتلاك القدرة على التحليل اللغوي والفصيح. وما زالت الحاجة قائمة لمزيد من البحث والتطوير، سواء في طرق التدريس، أو دراسة الصعوبات النحوية المعاصرة، أو استكشاف آفاق جديدة للربط بين التراث واللسانيات الحديثة، مما يضمن استمرار تطور هذا العلم وحفظ قيمته العلمية والثقافية.

قائمة المراجع:

- إبراهيم السامرائي، (١٩٦٨). *النحو العربي نقد وبناء* (المجلد ١). بيروت: دار الصادق.
- إبراهيم أنيس، (١٩٧٢). *من اسرار اللغة*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- ابن الانباري، (١٩٨٥). *نزهة الألباء في طبقات الأدباء*، تح: إبراهيم السامرائي (المجلد ٣). (إبراهيم السامرائي، المحرر) الاردن: مكتبة المنار.
- ابن النديم، (١٩٩١). *الفهرست*. (تح: شعبان خليفة ووليد محمد العوزة، المحرر) القاهرة.
- ابن سلام الجمحي، (١٩٧٤). *طبقات فحول الشعراء*. (محمود شاكر، المحرر) القاهرة: دار المعارف.
- ابن مضاء القرطبي، (١٩٨٢). *الرد على النحاة*. (شوقي ضيف، المحرر) القاهرة: دار المعارف.
- أبو الفتح عثمان ابن جني، (١٩٩٩). *الخصائص*. (محمد علي النجاء، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو المكارم، (٢٠١٦). *الصراع بين الفصحى والعامية وأثره على النحو*. القاهرة: دار المعارف.
- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، (١٩٨٤). *طبقات النحويين واللغويين*. (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) مصر: دار المعارف.
- أبو بكر محمد بن السري، ابن السراج، (١٩٩٦). *الأصول في النحو*. (تحقيق: عبد الحسين الفتلي، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة.

- احمد امين. (١٩٧٣). *ضحى الإسلام* (المجلد ١). بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.
- أحمد شامية. (١٩٩٥). *خصائص العربية والإعجاز (في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية)*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعي.
- احمد مختار عمر. (١٩٧٢). *البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب*. لبنان: دار الثقافة.
- أحمد مختار عمر. (١٩٨٨). *البحث اللغوي عند العرب* (المجلد ٦). القاهرة: عالم الكتب.
- أحمد، إبراهيم. (٢٠١٩). *مشكلات تعليم القواعد النحوية في المراحل الدراسية المختلفة، عدد خاص، كلية الآداب - جامعة بغداد. الكلمة* (بغداد).
- ابراهيم انيس. (١٩٧٢). *من أسرار اللغة*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- الازهرى. (١٩٦٤). *تهذيب اللغة*. (عبد السلام هارون، المحرر) القاهرة: الدار المصرية.
- التواتي بن التواتي. (٢٠٠٨). *المدارس النحوية*. الجزائر: دار الوعي للنشر والتوزيع.
- الجاحظ. *البيان والتبيين*. (تحقيق عبد السلام هارون، المحرر)
- السيوطي. *الاقتراح في أصول النحو*. (محمود شاكر، المحرر) بيروت: دار المعرفة.
- الشرع، أحمد. (٢٠٢١). *ضعف الخلفية اللغوية وأثرها على تعلم النحو العربي. أبحاث تربوية. القرآن الكريم*. رواية ورش.
- ايميل بديع يعقوب. (٢٠٠٤). *المدخل إلى علم اللغة*. بيروت: دار الكتاب الجامعي.
- ايميل بديع يعقوب. (٢٠٠٢). *دراسات في فقه اللغة*. بيروت: دار العلم للملايين.
- باسل فيصل سعد الزعبي. (٢٠٠٩). *المصطلح النحوي بين البصريين والكوفيين. مجلة علوم إنسانية*.
- بن عطية، سعاد. (٢٠١٩). *التفكير التجريدي في تعليمية القواعد النحوية عند المتعلم المتوسط. الممارسات اللغوية*.
- تمام حسان. (١٩٨٦). *اللغة العربية معناها ومبناها*. القاهرة: دار الثقافة.
- تمام حسان. (١٩٨٩). *مناهج البحث في اللغة*. القاهرة: دار الطباعة المحمدية بالأزهر.
- حسن خميس الملوخ. (٢٠٠٢). *التفكير العلمي في النحو العربي* (المجلد ١). الاردن: دار الشروق.
- رحمون، ميلود. (٢٠١٦). *صعوبات تعلم النحو في التعليم المتوسط وأثرها على الكتابة لدى التلميذ. مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها*، (٦).
- زكي أحمد كمال. (١٩٧١). *الحياة الأدبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري*. مصر: دار المعارف.
- ساطع الحصري. (١٩٨٣). *حول القومية العربية*. بيروت: دار العلم للملايين.
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. (١٩٨٨). *الكتاب* (المجلد ٣). (عبد السلام هارون، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.
- شوقي ضيف. (١٩٨٢). *تجديد النحو*. القاهرة: دار المعارف.
- شوقي ضيف. (١٩٧٢). *المدارس النحوية* (المجلد ٢). مصر: دار المعارف.
- عبد الرحمن الحاج صالح. (٢٠٠٧). *بحوث ودراسات في اللسانيات العربية*. الجزائر.
- عبد الرحمن بن اسحاق، الزجاجة. (١٩٨٤). *الإيضاح في علل النحو*. (مازن المبارك، المحرر) بيروت: دار النفائس.
- عبد العال سالم المكرم. (١٩٩٠). *الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي*. الويت: مؤسسة الرسالة.
- عبد المجيد. (٢٠١٠). *طرائق تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق*. بيروت: دار الرشاد.
- عبدالرحمان الحاج صالح. (٢٠٠٧). *مفهوم النحو عند العرب ومناهج تدريسه*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- عثمان ابو الفتح ابن جني. *الخصائص*. (محمد علي نجار، المحرر) لبنان: دار الكتاب العربي.
- عوض حمد القوزي. (١٩٨١). *المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث هجري*. الرياض: عمادة شؤون المكتبات.
- كمال بشر. (١٩٩٠). *علم اللغة العام*. القاهرة: دار المعارف.
- السامرائي، عبد العزيز. (٢٠٠٨). *تدريس النحو في الجامعات العربية: المشكلات والحلول*. جامعة زايد للدراسات الإنسانية.
- محمد الطهطاوي. (١٩٩١). *نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة*. القاهرة: دار المنار.

- محمد المبارك. (٢٠٠٥). *فقه اللغة وخصائص العربية* (المجلد ٢). بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر.
- محمد حسين آل ياسين. (١٩٨٠). *الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث* (المجلد ١). بيروت، لبنان: دار مكتبة الحياة.
- مهدي المخزومي. (١٩٦٤). *في النحو العربي: نقد وتوجيه*. بيروت: دار المعارف.